الأسلحة النارية فى المدن

مشاهد العنف المسلح فى المناطق الحضرية

يدفعنا العنف المسلح فى المناطق الحضرية إلى إعادة التفكير فى الخريطة الجغرافية المرسومة فى أذهاننا عن الدولة والمجتمع ونظام الحكم والإدارة– بما فى ذلك العوامل التى تؤدى إلى العنف المسلح وانتشار وإساءة استخدام الأسلحة الصغيرة والأسلحة الخفيفة. وقد ركزت الأعداد السابقة من مسح الأسلحة الصغيرة على الدور الذى تضطلع به الأسلحة فى الصراع والجريمة، وكذلك على أثرها على التنمية وأنشطة المعونة الإنسانية. ويركز الفصل الموضوعى المتخصص لهذا العام– الأسلحة النارية فى المدن– على الخصائص المحددة الخاصة بالعنف المسلح وعدم الأمن فى المناطق الحضرية، مقدما دليلا جديدا مستقا من طائفة عريضة من المراكز الحضرية فى أمريكا اللاتينية ومنطقة البحر الكاريبى وأمريكا الشمالية وأوروبا وأفريقيا وجنوبى آسيا وشرقيها.

ويقطن غالبية سكان العالم اليوم فى المدن. إذ يعيش ما يربو على مليار نسمة منهم فى الأحياء الفقيرة والمناطق المنعزلة الخاصة بالأقليات. وسيتركز النمو المستقبلى للسكان فى المناطق الحضرية: وسيكون إيقاع ونطاق حدوث التوسع الحضرى (الحضرنة) كبيرا بصورة هائلة لاسيما فى أفريقيا وجنوبى آسيا وشرقيها وأمريكا اللاتينية. ومن ثم سرعان ما شرعت المدن تصبح مركز تجميع للسياسات والبرامج الرامية لمنع العنف والحد منه. وينضم *«مسح الأسلحة الصغيرة»* إلى مجموعة آخذة فى التوسع من كل من الحكومات والوكالات الدولية– بما فى ذلك برنامج الأمم المتحدة للمستوطنات البشرية (الموئل) وبنك التنمية بين البلدان الأمريكية– فى جهودها لتحليل ظاهرة العنف الحضرى واقتراح سبل لجعل المدن أكثر أمنا.

ورغم ذلك فحقيقة أن العنف يتسم بطابع غير متجانس بصورة صارخة ويخضع لتأثير أخطار متعددة لا تؤدى سوى إلى تعقيد المحاولات الرامية إلى ترجمة الالتزامات إلى أعمال تمنع العنف الحضرى وتحد منه. وليس ثمة رابطة سواء بسيطة أو بالضرورة سببية بين الحضرنة والعنف المسلح. ووفقا لمتى وأين يقع، فإن العنف تشكل ملامحه عوامل خطيرة مثل الاتجار بالمخدرات ومدى توافر الأسلحة والقوى المحركة للتنظيمات الاجتماعية غير الرسمية مثل العصابات والميليشيات العسكرية. ويتسم العنف الحضرى بالتوزع القطاعى الشديد والتركز المكانى.

وينتهى الفصل إلى النتائج التالية:

- يبدو أن الحضرنة واسعة النطاق والخارجة عن السيطرة ترتبط بزيادة معدلات العنف المسلح؛
- تقترن الحضرنة السريعة عموما بتناقص مستويات الأمن العام، مما يشكل تحديات خطيرة أمام توفير الأمن و إقامة العدالة؛
- وفى المناطق الجنوبية فى العالم، يغلب الطابع السياسى على العنف الحضرى بنفس القدر الذى يغلب الطابع الإجرامى به عليه، حيث يتخذ العنف الإجرامى هيكلا وتنظيما اجتماعيا و جغرافيا؛
- ويشكل عدم الأمن الحقيقى والمدرك الاستجابات الفردية والجماعية للعنف المسلح، التى تضم غالبا استراتيجيات ترمى لاحتواء العنف أو تصديره للمناطق الواقعة على مشارف الحضر؛
- يمكن أن تكون التدخلات على مستوى الدوائر البلدية المحلية التى تمنع أو تحد من العنف المسلح قسرية، أو موجهة نحو تحقيق الانصياع أو طوعية، وتجمع البرامج الفعالة النهج الثلاثة جميعها غالبا؛
- يجب أن تتشكل ملامح أى تقييم أو استجابة عبر السياسات للعنف الحضرى المسلح من خلال البراهين والأدلة والفهم القائم على دراسات علمية متخصصة ومتعددة للظاهرة.

يستكشف الفصل أوجه التباين بين الحضر والريف والاستجابات المحلية للعنف المسلح. ويتم توضيح المعلومات الجديدة التى تم الحصول عليها عن توزيع العنف الحضرى مكانيا و زمانيا من خلال بيانات مقارنة مستقاة من الولايات المتحدة وكندا والبرازيل. ففى الولايات المتحدة، مثلا، يعد متوسط معدلات جرائم القتل أعلى

(الجدول ٥–١ معدلات جرائم القتل فى الولايات المتحدة حسب سكان المدن، ١٩٨٥–٢٠٠٤ (لكل ١٠٠ ألف نسمة)

سكان المدينة	المعدل المتوسط لمدة ٢٠ عاما	منخفض	مرتفع
١ مليون فأكثر	١٩,٠٤	٨,٢٤	٢٧,٨٢
٥٠٠,٠٠٠–٩٩٩,٩٩٩	١٣,٨٦	١,٧٤	٥٥,١٨
٢٥٠,٠٠٠–٤٩٩,٩٩٩	١١,٣١	١,٠٩	٥٣,٨٧
١٠٠,٠٠٠–٢٤٩,٩٩٩	٧,٢١	٠,٣١	٦٠,٢٢
الإجمالى فى الولايات المتحدة	٧,٥٧	٥,٥٠	٩,٨٠

المصدر: willkinson and bell(2006)

فى المدن الأكبر عنه فى المدن الأصغر، ولكنها تصل إلى ذروتها فى المدن متوسطة الحجم (انظر الجدول ٥–١).

ثم يدرس الفصل ظهور أشكال جديدة من «النظام الحضرى» ، بما فى ذلك أشكال المعيشة و السكن فى المناطق المحيطة بالحضر، والمناطق شبه الحضرية، وداخل المدن. وهو يفحص كيف يتم تحريك عملية التحول التى تمر بها المناطق الحضرية من خلال ردود الأفعال الفردية والجماعية لعدم الأمن المتصور (الذى تم التعرض له بصورة ذاتية) فى مقابل عدم الأمن الحقيقى (الذى تم رصده بصورة تجريبية). وفى بعض المدن تم احتواء العنف أو تصديره إلى الأحياء الفقيرة أو المناطق الحضرية الواقعة على الأطراف، التى تتسم بالفقر وضعف البنية الأساسية والخدمات وأحيانا بتفشى انعدام الأمن. وتمثلت استجابة السكان من الطبقة المتوسطة وفوق المتوسطة فى بناء جدران لحماية أنفسهم، مما أسفر عن ظهور مجتمعات مسيّجة ومحصنة خلف الأسوار. والمحصلة هى تفتيت الساحة العامة وانهيار وحدة النسيج الاجتماعى من خلال خلق أشكال جديدة من التفرقة المكانية والتمييز الاجتماعى، وربما مزيد من العنف.

يستعرض الفصل حالة المعرفة الخاصة بالعنف المسلح، الأمر الذى يميط اللثام عن اتجاهات وأنماط إقليمية وداخل المدن للعنف المسلح الإجرامى والسياسى. ويقوم البحث الذى أجراه مكتب الأمم المتحدة لمكافحة المخدرات والجريمة بسبر أغوار الاتجاهات السائدة فى حيازة الأسلحة داخل مدن أفريقية مختارة؛ وتمحص المسوح الأسرية أشكال انتشار العنف المسلح فى بورت–أو–برس وهاييتى؛ ويجرى تحليل ظاهرة المجتمعات المسيّجة المغلقة كصد «لعنف الحضرنة». وينتهى الفصل إلى أنه، من أمريكا الجنوبية حتى جنوب شرق آسيا، يرتبط العنف الحضرى المسلح بصورة وثيقة بالقوى المحركة الهيكلية للحضرنة، وكذلك بصراع المصالح المتعارضة– وأوجه عدم التوازن والاتساق فى موازين القوى الظاهرة بين الجماعات الاجتماعية. ويعد العنف المسلح محصلة ومحفز فى آن واحد للتحول فى نظم الإدارة والحوكمة الحضرية والتنظيم المكانى.

ويعتمد الفصل بصورة حاسمة مهمة نهجا ثلاثى الأركان لفهم العنف الحضرى المسلح ومنعه والحد منه. وينبغى على التدخلات الفعالة على مستوى الدوائر البلدية المحلية مراعاة الأبعاد المختلفة للمشهد الحضرى، وأهمية العنف الحقيقى والمتصور، ودور عمليات العزل والاحتواء والتصدير فيما يتعلق بالحد من العنف. ويقدم الفصل تصنيفا لفهم التدخلات المحلية المصممة للحد من العنف المسلح ومراقبة الأسلحة الصغيرة وتسليط الأضواء على المنطلقات المحتملة لإعادة التفكير فى التحسينات التى يمكن إدخالها على الأمان الإنسانى والأمن العام (انظر الشكل ٥–٥). وقد تكون التدخلات قسرية أو موجهة نحو تحقيق الانصياع أو طوعية. ويبدو أن أنجح الأنشطة هى التى يتم تخطيطها وتنفيذها استنادا إلى الأدلة الموثوق بها وعناصر التسلسل المختارة بعناية للنهج الثلاثة جميعها.

الشكل ٥–٥ تصنيف متصور لاستراتيجيات الرقابة على الأسلحة فى الدوائر البلدية المحلية.